المحاضرة 4

علاقة صوت الكلمة بمعناها

يعد الاهتمام بعلاقة الصوت بمعنى الكلمة في البحث في فقه اللغة واحدا من المواضيع المهمة؛ فلا تقتصر الدراسة في بحوث فقه اللغة على فهم علاقة الصوت بمخارجه وبصيغه في تشكيل الكلمات صرفيا بل يتجاوزها إلى البحث في دلالته وما تضيفه إلى دلالة الكلمات. وقد أدرك القدماء من اللغويين العرب العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها، وكانت لهم فيها وقفات تحليلية لغرض توضيحها وتأكيدها، ويعد (الخليل بن أحمد) ت973هـ في مرحلة مبكرة من التأسيس للدراسات اللغوية من أبرز اللغويين العرب في هذا الجهد، ثم توالت بعده محاولات جادة لبحث هذه العلاقة. وكانت محاولات (ابن جني) من أكثر هذه المحاولات نضجا، وهي تعد في الحقيقة امتدادا لجهود الخليل ولغيره، وقد أشاد (السيوطي) بجهود (ابن جني) في هذا المجال فقال: "وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعاني وقال: أعلم أن هذا موضح شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته". قال الخليل: كأنهم توهموا في الجندب استطالة ومدا فقالوا: (صر) وفي صوت البازي تقطيعا: فقالوا: (صرصر). ويواصل شرح هذا الكلام بقوله: " ويعني هذا أنه التفت إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه(صر). وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية، جاء الذي يصف صوت البازي مضعفا(صرصر) ".

ويمكن تمييز عدد من هذه العلاقات بين الصوت ومدلول اللفظ منها:

1. **العلاقة بين معنى الصوت ومدلول اللفظ:**

ومما يمكن الاستدلال به على هذه العلاقة أيضا قولهـم: خضم، وقضم، ومعنى الصوتين في تمييز مدلول اللفظين؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ، والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.

2 - **العلاقة بين تكرار الصوت في اللفظ ومدلوله:**

تعتبر العلاقة بين اللفظ ومدلوله في هذا الجانب شكلا من أشكال العلاقات المتعددة بين اللفظ ومدلوله. ولهذا يمكن اعتبارها امتدادا للأولى، ولكنها علاقة من نوع آخر حيث يظهر فيها تكرار بعض الأصوات في صيغة معينة. ولهذا التكرار دلالة ليست كغيرها من الدلالات التي يتكرر فيها هذا الصوت. وقد حظي هذا الجانب من البحث باهتمام علماء اللغة منهم (ابن جني) حيث قال: " وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط: من ذلك: الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والقلقلة والصلصلة (صوت الطين اليابس) و(القعقعة) (ترجيع الصوت). وقال مرة أخرى موضحا: من ذلك أنهم جعلوا تكرير العين يقصد عين (فعل) في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسَّر، وقطَّع، وفتَّح وغلَّق. فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما.

3- العلاقة بين الصيغة واللفظ في مدلوله:

تتميز اللغة العربية بخصائص عديدة. من هذه الخصائص أنها لغة اشتقاقية. ومعنى هذا أن لكل صيغة اشتقاقية فيها دلالة معينة مصداقا للعبارة "زيادة في المبنى زيادة في المعنى"، وقد أولى علماء اللغة عنايتهم بهذه العلاقة في تراثنا اللغوي منذ أن بدأ البحث اللغوي في القرن الثاني الهجري كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها. ومن الأمثلة التي تتردد في كتب هؤلاء العلماء في العلاقة بين اللفظ وصيغته قولهم: (الفعلان) إنها تأتي، لتدل على الاضطراب والحركة نحو النقزان (الوثوب والصعود) والغليان والغثيان وما إلى ذلك.

إن هذه العلاقة ثابتة ومؤكدة ولا يخلو منها كتاب من كتب اللغة التي تدرس خصائص اللغة العربية، بل هناك كتب خاصة للبحث في هذه العلاقة، ومازال البحث فيها متواصلا لكونه من المباحث الهامة في تطور اللغة العربية من خلال خصائصها التعبيرية المتجـددة.